

المقاربة الانقسامية للحركات الإسلامية

حركة مجتمع السلم انموذجا

أ. طرشاوي رقية

جامعة أوبكر بلقايد تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية شعبه الأنثروبولوجيا

الملخص:

ابن بيئته فسيطر على كتاباته خاصة فيما يتعلق بقيام الملك والدولة الفكر الانقسامية هذا ما انطلقت منه السياسات الاستعمارية في دراستها للمجتمع الجزائري وتجسد في البحث الذي قام به دور كايم E. DUR Kheim عن المجتمع القبائلي ونظرية تقسيم العمل في كتابه الشهير "تقسيم العمل الإجتماعي"⁽²⁾ ثم ليتبنى فيما بعد رواد الأنثروبولوجيا الاجتماعية خطاب التحليل الانقسامية لدراسة المجتمعات البدوية في الشمال الإفريقي وعلى رأسهم الأنثروبولوجي إيفانزبرينشاد Evans PRITCHARD وروبير مونطاني R.Montagne. وإرنست غيلنر Ernest Gellner ويذكر الدكتور محمد حجاج أن الأنثروبولوجيين في اعتمادهم على المتن الخلدوني لبناء التحليل الانقسامية أسأؤوا فهمه فأحالوه الى مجرد نظرية عنف وعنف مضاد وهذا ما يسميه د. إدوارد سعيد الطبيعة الاقتباسية للاستشراق ويضيف الدكتور محمد حجاج بل هي سوء نية في التعاطي مع الخطاب الخلدوني وفي انتقاء نصوصه، وكل الدراسات الأنثروبولوجية خلصت إلى أن مجتمعات الشمال الإفريقي ذات بني انقسامية ولذلك ظهرت الأطروحة الكولونيالية التي تتحدث عن النسق الانقسامية المتميز بالانحطاط والانصهار أو الصراع والاتحاد وهي منهج تحليلي يعتمد على الدمج بين الوظيفة والبنائية structuralisme وetfonctionnalisme نجد دور كايم E. DUR

سنتطرق خلال هذه المداخلة للحديث عن الحركات الإسلامية ليست كمذاهب فكرية أو تيارات دينية إنما كتيار اجتماعي أضاف الكثير من التنوع والاختلاف داخل المؤسسة المجتمعية وهذا من خلال المقاربة الانقسامية في محاولة لفهم وتحليل الانقسام الذي أصيبت به الحركة الإسلامية وكذا من باب التأصيل الأنثروبولوجي لهذه الحالة.

ولكون الحركات الإسلامية تمثل أحد خطوط الانقسام المحتملة داخل المجتمع كذاك القائمة على قاعدة الدين، العرق، القطر، المذهب. هذه العوامل التي يمكن أن تكون عاصمة مانعة من الانشقاق أو تكون هي المرتكزات الأساسية لحدوثه.

استنادا إلى هذه المعطيات سنتبنى المداخلة على ثلاث محاور رئيسية:

- 1- الأطروحة الانقسامية.
- 2- النسق السياسي وحركات الإسلام السياسي.
- 3- تفكيك البنية المعرفية للحركة الإسلامية.

أولا: الأطروحة الانقسامية:

تعود النظرية الانقسامية في أصولها إلى النظرية الخلدونية التي تتحدث عن العصبية

والملك، وأن تطلعات ابن خلدون⁽¹⁾ نحو دولة وسلطة مركزية لم تتحقق في الفترة التي عاشها وهو القائل المرء

⁽¹⁾ الأطروحة الانقسامية: نظرية أنثروبولوجية استعمارية وأغلب الدراسات الأنثروبولوجية كان هدفها مساعدة الاستعمار لاكتشاف المناطق الجزائرية وكل مستعمرات دول المغرب العربي وفي كثير من الأحيان كانت تمثل الأرضية والمبرر لشن حروب الإبادة.

⁽²⁾ د. محمد حجاج الأطروحة الانقسامية بين الإرث الخلدوني والسوسيولوجيا الوضعية دراسة منشورة على الإنترنت. ديوان أصدقاء المغرب 2011.

وانقسام فتح - حماس أصبح يشكل خط انقسام كبير يعيق مسيرة التحرر الوطنية.

ثانياً: النسق السياسي وحركات الاسلام السياسي(2)

باعتباره المحور الرئيسي الذي تدور حوله بقية الأنساق وله دور ريادي في قيادتها ويعمل بشكل أوسع من النسق الأمني فابتداء النظرية الانقسامية قائمة على هذا النسق لأنه يحقق عملية الضبط الاجتماعي وتنقسم المجتمعات من الاختلاف حول الحكم والسلطة ورفض الظلم والهيمنة وقد أولت الحركات الاسلامية أهمية كبرى لموضوع السياسة لما تتمتع به من مرجعية تاريخية فلا تكاد تخلوا كتابات منظري التيارات الإسلامية من وصف لحكومة النبي صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة خاصة الفترة العمرية والنظام السياسي الإسلامي...

ولذلك فالانقسام السني الشيعي الأصل فيه سياسي من له الحق في خلافة النبي صلى الله عليه وسلم خلافته في ادارة الحكم وليس النبوة وإعطاء البعد الديني للصراع لإضفاء شيء من الشرعية لا أكثر.

ومباشرة بعد الحركات التحررية التي قادت الشعوب نحو الاستقلال تولدت أنظمة أحادية طبعت الشعوب بقالب واحد ما نتج عنه حالة ضغط أنتجت هي الأخرى انقساماً بين تيارين:

التيار الإسلامي أو حركات الإسلام السياسي والتيار العلماني وكلاهما منقسم لعدة مذاهب: معتدلون، سلفيون، جهاديون، تكفيريون. وفي المقابل اشتراكيون، شيوعيون، ليبراليون، حداثيون...

(2)* مفردة خطوط انقسام محتملة هو تغيير لد. جاسم سلطان

* حين نقول تجاوزا حركات الاسلام السياسي فلاسلام واحد لا يتجزأ ولكن قد يكون هذا من باب ما يقدمه الجزء للكل كما يقول الوظيفيون أو على قاعدة الحديث "الحج عرفة" فعرفة ركن من أركان الحج وهذا لا يعني اسقاط الأركان الأخرى أبداً كذلك، الإسلام السياسي لارتباط هذا الجزء السياسي بالكل الإسلامي فدين غير سياسة تعدي على الدينونة وسياسة بغير دين علمانية مرفوضة أ. أبو جرة سلطاني. الجزائر الجديدة الزحف نحو الديمقراطية زاعياش للطباعة والنشر ص 47.

Kheim يطلق عليها آلية التجانس والتشابه والتباين أو التحالف والتعارض ومن مميزات المجتمع الانقسامى(1):

• محورية النسب (الجد المشترك المؤسس).

• ضعف تقسيم العمل الاجتماعي.

• لامركزية السلطة أو الفوضى المنظمة (العنف المهكيل).

• قوة الوعي الجمعي وأهمية العامل الديني.

و من النتائج التي توصلت إليها النظرية الانقسامية:

1- البنيوية الانقسامية وهي خاصية متعلقة بالبنية (البناء الهيكلية)

2- الطبيعة الهاشمية وهي خاصية تتصل بالموقع من حيث احتفاظ المجتمع بمساحة من الحرية الثقافية والسياسية تعبيراً عن رفض الحكم المركزي.

والانقسام الذي أصاب الحركات الإسلامية هو نتاج مجتمع موصوف بالانقسامى إلا أنه يمكن النظر إلى الانقسام كوضع طبيعي تكويني قد يحدث لأي مجتمع بشري فهو ظاهرة بيولوجية تنقسمها جميع الكائنات، فالإنسان هو نتاج انقسام خلوي، التوأم الحقيقي هو انقسام البويضة إلى قسمين، العائلات الكبيرة العريقة في المجتمع هي نتيجة انقسام أفرادها لتشكيل وحدات أسرية أخرى. إلا أن الانقسام بشكل غير طبيعي للخلايا يؤثر على حياة الإنسان فإما أن ينتج حياة مشوهة أو يسبب أوراما قاتلة. هذا الانقسام غير المحمود الذي أصيبت به الهيئات والحركات والمجتمعات تحول من ظاهرة طبيعية إلى معوق يهدد البنية الأساسية ويحول دون سيرورة الوظائف والأدوار المنوطة بها خاصة حين يصل الانقسام إلى هوية المجتمع وعندما تستعمل اللغة والدين لجر المجتمعات إلى صراعات داخلية كما يحدث حالياً في العراق وسوريا.

(1) د. ناصر السوسي المغترب الانقسامى للمجتمع القروي بالمغرب التحليل والحدود. أرست غيلتر نموذجاً 05 جويلية 2013. مجلة أنفاس نت.
* لـ تكن التقارير التي يكتبها الأنثروبولوجيون صادقة إلى حد كبير لأنها كانت خاضعة لإيديولوجية استعمارية تحاول ابراز كل ما هو سلبي لتبرير كل ما سنتهجه فيها بعد.

• عن المفكر السياسي الاسلامي: المتأمل في الحق والواقع ثم عن الزعامة السياسية وهي أخطر ما تواجهه الحركات الإسلامية واطر ما فيه فراغ الاتباع فهم لا يفتنعون إلا بالعمل، وقد اختلف الصحابة الأوائل رضوان الله عليهم في سقفة بني ساعدة حول الخليفة الأول ثم حول اختيار عثمان رضي الله عنه فعلي كرم الله وجهه ثم معاوية بن أبي سفيان فابنه يزيد رضي الله عنه ليصبح فيما بعد دولة أموية مقابل دولة عباسية.

ثالثاً: تفكيك البنية المعرفية للحركة الإسلامية:

التفكيكية أداة تحليلية تستخدم لاستكشاف البنية الكامنة وراء كل نظام فكري، فلسفي، حركي، ويعتمد مستخدموها على تفكيك الخطاب والرموز والنظام وهي بذلك تقوم على التجزئ والتقسيم وحين القول إنها لا تحمل أي مضمون إيديولوجي فهذا صحيح إلا أن النتائج المترتبة عن التفكيكية لا يمكن أن تكون خالية من المضمون الإيديولوجي على الإطلاق.

يذكر "جاك دريدا" "Jaque Derrida" أن الفكر الغربي قائم على الثنائيات الضدية. و نستنتج أنه تم نقل هذه الثنائية إلى مجتمعاتنا حين غدت السياسات الاستعمارية صراع الثنائيات في مستعمراتها واستمر التأثير إلى يومنا هذا (عربي/ أمازيغي، مسلم/ مسيحي، شرقي/ غربي،...)

مع الإشارة إلى أن نظام الثنائيات هو أيضاً طبيعي تكويني فانه خلق الأزواج كلها (ذكر/ أنثى، خير/ شر، حق/ باطل، ظل/ حرور) وهذا ما عبر عنه عبد الكريم سوروش (4) "بأن الله واضح التعددية" فلقد خلق الله الناس مختلفين ولا زالوا مختلفين ولأجل ذلك خلقهم وفي ظل هذا الاختلاف تكمن الأمة الواحدة.

استناداً إلى هذا يمكن تتبع الخلفية المعرفية التي تطبع ممارسات الحركة الإسلامية وما يصحب هذه الممارسات من معتقدات وتتبع الرموز المفردات المتداولة والمتكررة لأن لها

وأصبحت الأنظمة العربية فيما بعد ترى في تنامي حركات الإسلام السياسي خطراً يهدد الأمن القومي ما جعل ظاهرة أخرى مصاحبة لهذا التنامي وهي العنف السياسي (1) في النظم العربية سواء الذي تمارسه السلطة ضد الآخرين أو الممارس ضدها.

في ظل هذه الأوضاع كان على حركات الإسلام السياسي أن تتساءل:

• عن دخولها قفص السياسة أكان طوعية أم أنها استدرجت إليه بحكم الواقع.

• عن موقفها من المعارضة ففي عمرة تسارع العمل الميداني قد تتحول المعارضة إلى وظيفة سياسية مرتبطة بموقف المعارضة قبل موضوعها.

• عن صياغة الوعي السياسي: بتحليل التراث تحليلاً لفظياً وتاريخياً والارتقاء به إلى مستوى الوظيفة فيرنيتب المدرك بالواقع (2) والإنسان هو من يقوم بربط النص بالواقع وصاحبه وزمانه وهو من يلغي كل هذا للحصول على حقائق ثابتة وبالتالي فهو ينتج وعي سياسي

• عن إدارة معركة المصطلحات (3) مفهوم الجماعة، الحزب، الدعوة، الحركة، الرجل السياسي، الرجل الدعوى وبالتالي تجديد وطرح النظرية الإسلامية السياسية.

(1) حالات العنف الرسمي: اعتقال جزئي أقل من 100 شخص - اعتقال محدود 200 إلى 1000 - حملات اعتقال شاملة (اعداد كبيرة أكثر من 1000) - السجن ب 10 سنوات مع الأشغال سجن 15 عاما مع الأشغال أحكام بالمؤبد مع الأشغال - أحكام بالإعدام - تنفيذ حكم الإعدام - الاغتيالات - استخدام وحدات من الجيش ضد الشعب. حالات العنف غير الرسمي: اغتيالات - مظالمات غير الرسمية (عصيان مدني، أحداث شغب، الاعتداء على الممتلكات العمومية). الجزائر في الحالتين تتوسط الدول العربية تأتي بعد مصر، الأردن، سوريا وتتقدم على الإمارات والسعودية.

د. حسين توفيق إبراهيم. ظامرة العنف السياسي في النظم العربية مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الثانية 1999. ص 124-128.

(2) د. رفاعي سرور. التصور الإسلامي للحركة الإسلامية الطبعة الثانية 2012 ص 10-10 (PDF)

(3) د. رفاعي سرور. المرجع نفسه ص 11-11 (PDF)

(4) عبد الكريم سوروش فيلسوف إيراني من مواليد 1645 دكتوراه كيمياء وصيدلة له عدة دراسات فلسفية وإسلامية

1- تحدي التنظير والممارسة⁽¹⁾: هو لا يتعلق بحركة وإنما هو قضية أو مشكلة وجودها هو خطاب الإنتاج الكثيف للمعرفة يبشر بقيم طموحة من خلال تطبيقات الذكاء الاصطناعي ولكن يؤكد قيما احتكارية تفرضها المنافسة الشديدة بين الشركات الكبرى ويحول الناس إلى مجرد مستخدمين مما يقتل الروح الإبداعية. والخطاب العولمة يبشر بمجتمع عالمي للمعلومات تنوب فيه حدود السياسة والثقافة يتأخر البشر معرفيا، ولكن أصوات ما بعد الحداثة يتحدثون عن المعرفة كسلعة لإحراز القوة وتوجيه الصراع بين القوى الكبرى. ولعل أكبر منظر لحقوق الإنسان وقيم الديمقراطية الولايات المتحدة الأمريكية تساعدها في نبيل المهمة الأمم المتحدة أما على مستوى الواقع فلا حقوق ولا إنسان خاصة إذا تعلق الأمر بقضايا الضعفاء والمسلمين (قضية القدس، بورما، سوريا،...)

2- اختزال العمل الإسلامي في المدخل السياسي⁽²⁾ اقتنع العاملون في الحقل الإسلامي أن السلطة هي المدخل الأساسي للإصلاح. والوصول إلى السلطة يتطلب أحد الأمرين:

- إما قوة عسكرية تمكن من الوصول إلى مركز القرار
- أو الفوز في الانتخابات (شرعية الصناديق)

فحين تمكن الإسلاميون من الفوز بالانتخابات ظهرت إشكالية أخرى عميقة:

الفجوة بين الرجل الدعوي والرجل السياسي وهل يمكن أن يكونا شخصا واحدا.

وإشكالية أخرى أن الوعاء الانتخابي لا يمثل شيئا في الدولة العميقة فقد تكون الأغلبية عددية فقط ولا تمثل القوة والعكس أيضا قد تكون تلك الأقلية هي من تمثل القوة الحقيقية فوجدت حركات الإسلام السياسي نفسها أمام شرعية شعبية لكنها تفتقد الوجود في المؤسسات الأخرى

(1) د. محمد عبد الحالق مدبولي: أزمة التنظير والممارسة وعلاقتها بظاهرة تفكيك البنية في السياق التربوي. دراسة منشورة على الإنترنت (PDF). *لقد أحس الصحابة رضوان الله عليهم بالفجوة ذاتها في حديث نافق حفصلة.

(2) د. نصر محمد عارف. إشكالية الطرح السياسي للإسلام. دراسات إسلامية مركز البصرة للبحوث. أوت 2006 ص 43.

تأثير على الاتجاه الفكري لهذه الحركات أو يكون الاتجاه الفكري هو من يصنع هذه الرموز والمفردات والأنظمة.

ففي النموذج السلفي تسبق الممارسة الفكر فلباسه دال على مدلوله بأنه سلفي فهو يعرف نفسه من خلال اللباس سواء كان قميصا قصيرا أو الشائع أو سروالا واضحا في القصر إلى اللحية وما تحمله من رمزية دينية هذه الرمزية التي تتقاسمها جميع الديانات السماوية وانتهاء بقارورة المسك والسواك الداليتين على حب النبي صلى الله عليه وسلم لهما ومن المفردات المتكررة في القاموس السلفي وأكثرها مصطلح البدعة الذي نتج عنه انكار جملة من عادات وتقاليد المجتمع وتبديعها وانكار بعض الممارسات المصاحبة للعبادات ومما انكرته السلفية تأسيس الأحزاب السياسية على اعتباراتها بدعة وهي أمر محدث لم يأت به النبي صلى الله عليه وسلم ولإصحابته إلا أن هذه الفكرة لم تصمد أمام قوة الواقع فتأسس حزب النور السلفي المصري وانقسم إلى أحزاب أخرى ومشروع حزب الصحوة الجزائري. ولم يصمد تبديع التلغاف أمام سرعة وصول المعلومة فتأسست فضائيات سلفية كثيرة.

وربما التناقض الواضح أن فكرة ظهور التيار السلفي قامت على قاعدة تحالف ديني سياسي أو كما يطلق عليه وهابي سعودي أما بالنسبة للحركات الإسلامية ذات المرجعية الإخوانية فالمظهرية لا تكاد تبين ولذلك قد نقول هنا أن الفكر يسبق الممارسة فلا يمكن التمييز بينهم وبين غيرهم ذلك أن تدينهم أقرب إلى تدين العامة من الناس ويمكن أن نتعرف عليهم من لحن القول. ومن هنا نطرح إشكالا هاما متعلقا بالانقسام وأسبابه:

هل هو نتيجة الفجوة بين التنظير والممارسة؟ وأيهما يحدد الآخر؟ أم هو نتيجة اختزال العمل الإسلامي على وسعه في المدخل السياسي؟ أم أن القضية فكرية مرتبطة بالحلقة المفقودة بين الإسلام والديمقراطية والوطنية؟

المراجع:

- د. أبوجرة سلطاني. الجزائر الجديدة الزحف نحو الديمقراطية. زاعياش للطباعة والنشر (ب.ط.ت).
- د. أسامة الغزالي حرب الأحزاب السياسية في العالم الثالث. مطابع الرسالة الكويت.
- د. توفيق حسين إبراهيم. ظامرة العنف السياسي في النظم العربية مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الثانية 1999.
- د. رفاعي سرور التصور السياسي للحركة الإسلامية. نشر عن طريق نخبة الإعلام الجهادي. الطبعة الثانية 2012.
- د. علاء جواد كاظم. نحو تفكيك سوسيولوجي للبنية الثقافية للمجتمع العراقي. مجلة إضافات. العدد 07. (2009).
- د. نصر عارف. إشكالية الطرح السياسي للإسلام دراسات إسلامية صادرة عن مركز البصيرة للبحوث أوت 2006.
- الدراسات المنشورة عبر الإنترنت (PDF):**
- د. جاسم سلطان. المآلات الاستراتيجية للنزاعات الانقسامية. مشرف موقع مشروع النهضة. محاضرة على youtube.
 - د. عبد الله الحمودي. سوسيولوجيا الانقسامية.
 - د. محمد حجاج. الأطروحة الانقسامية بين الإرث الخلدوني والسوسيولوجيا الوضعية. ديوان أصدقاء المغرب 2011.
 - د. محمد عبد الخالق مدبولي. أزمة التنظير والممارسة وعلاقتها بظامرة تفكيك البنية في السياق التربوي. جامعة حلوان مصر
 - د. ناصر السوسي. المغرب الانقسامية للمجتمع القروي بالمغرب التحليل والحدود. إنست غيلتر نموذجاً (05 جويلية 2013).

القوية (مؤسسة الإعلام، رجال الأعمال، المؤسسة العسكرية، القضائية).

خاتمة:

لا نستطيع القول أن الانقسامات مست الحركات الإسلامية فقط أو أنها خطيرة وقعت فيها هذه الحركات ولكن هي ظاهرة عامة يمكن رصدها في المجتمعات الكبرى وهذا نتيجة الاختلاف والتنوع والتناقض وبلغه ماركس نقول أن البنية التحتية الواقعية لها انعكاساتها وأثرها وفضلها في صياغة البني الفوقية الإيديولوجية وأن الواقع الموضوعي الاجتماعي يفرض نفسه باستمرار على الوعي الإنساني.⁽¹⁾

ويمكن أن نجمل أسباب الانقسام في الحركات الإسلامية (الذي يعد فكراً لكنه ظهر تنظيمياً واعتماداً على المقاربة الانقسامية) فيما يلي:

- 1- صراع الثنائيات أو انتاج الثنائيات⁽²⁾ (كنتيجة حتمية للانقسامية وتمثل هذا في (الدعوة/الدولة، رجل التربية/رجل السياسة، الحزب/الحركة والجماعة).
 - 2- أزمة الزعامة (أو الرئاسة)⁽³⁾: أو الهيمنة كما تسميها سوسيولوجيا الانقسامية.
 - 3- التنافسية السياسية (أزمة الغنائم) فلا زال ينظر للترشح وللعملية السياسية برمتها كمدخل للثراء.
- قد لا يتسع المقال مساحة وزمناً لاعطاء الموضوع حقه وقدنتيح فرص اخرى المجال الا اننا حاولنا ان ندخل من احد ابواب الحركة الاسلامية املا في طرق ابواب اخرى مستقبلا . يتبع.....

(1) د. علاء جواد كاظم نحز تفكيك سوسيولوجي للبنية الثقافية للمجتمع العراقي مجلة إضافات تصدر عن المجلة العربية لعلم الاجتماع. العدد 07. (2009). ص 80

(2) د. عبد الله الحمودي. سوسيولوجيا الانقسامية-دراسة منشورة على الانترنت.

(3) د. عبد الله الحمودي. سوسيولوجيا الانقسامية-دراسة منشورة على الانترنت.